وليا من صلبي فان اكثر المفسرين ذهبوا الى انه عليه السلام من فضل الله تعالى ان يهب وليا
من صلبه واستشهدوا عليه بقوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه قال رب هب لي من
لدنك ذرية طيبة وذهب بعضهم الى انه طلب منه تعالى ان يهب له من يلي امر الدين
ويقوم مقامه في رعاية امره ولدا كان او غيره لانه استوهب وليا وهو اعم من الولد
قوله صفتان لوليا فيكون وراثة الولي اياه مطلوبا بالهيئة نفس الولي وقد اجاب
الله تعالى دعاءه في طلب الولد لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى فالظاهر انه تعالى اجاب دعاءه في طلب كونه
وارثا عنه بان قتل زكريا وقتل ابنه يحيى قال صاحب الكشاف في سورة بني اسرائيل
في تفسير قوله تعالى لتفسدن في الارض مرتين اولهما قتل زكريا وثانيهما قتل
يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليه السلام ولم يرض صاحب المفتاح بكونهما صفتين
لوليا وجعله استئنافا وقال لان الانبياء مستجابو الدعوة فلو دعا زكريا ربه ان
يهبه وليا يرثه لاجاب الله تعالى دعاءه ووهبه ذلك ولم يوهب كذلك لهلاك
يحيى قبل زكريا عليهما السلام فجعل يرث استئنافا لئلا يلزم كون امر الدعاء
من جملة المطلوب لم يكن بما للعرض من دعائه ويجوز ان لا يحصل غرض الانبياء
ومن جزم الفعلين جعلهما جوابا للدعاء لان المراد في اذا خاطب الاعلى وصيغته
الامر يكون الامر بمعنى الدعاء فيكون الجزم دالا على السببية اي ان يهب يرث
واذا لم تقصد السببية كان المضارع ما قبله رفعه والمجرورة مصدر حبر اي تعلم
اذا صار حبرا عالما فايقا في علمه وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ قوله
وهو يعقوب بن اسحق عليه السلام ... الامام اكثر المفسرين على ان يعقوب هنا
هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام لان زوجة زكريا عليه السلام هي ايشاع اخت مريم بنت عمران
من ناثان من نسل سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب وقال بعضهم هذا كان
اخا زكريا او كان اخا عمران بن ماثان الذي هو ابو مريم اذا كان اخا يعقوب بن ماثان وكان زكريا
قد تزوج ايشاع اخت مريم كان كل واحد من عيسى ويحيى ابن خالة الاخر وكان ام كل واحد منهما خالة
الاخر وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا عليه السلام وروي ان يحيى عليه السلام اعتزل عن ابويه وسار في آدم
وهرب للعبادة في البراري وغور الجبال اربع سنين حملا فقد ابويه حابا به زكريا الى الله تعالى ان يرده
الى بني اسرائيل يذكرهم ويدعوهم الى التمسك بالشريعة فجاء اليهم وقام فيهم سبع سنين يأمرهم وينهاهم
فقتله اليهود دابا به زكريا عليهما السلام فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر فاهلكهم فعلى هذه الرواية قد اجاب الله

تعالى زكريا في ان يهب الله تعالى له وليا من صلبه وفي ان يجعله وارثا له يرث منه الشرع والعلم
قبل كان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار واراد ان يرث ولده
حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم قوله وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على لفظ اسم الفاعل
المنصوب على انه من احد ضميري يرثني اي يرثني وهو وارث آل يعقوب اي وانا ارثهم ان
ماتوا قبلي وقرئ يرث وهو اصله وأويرث بادوين اجتمعت الواوين التحرك كان في اول
الكلمة وجب قلب ويهما همزة كما في أويصل اصله ووويصل تصغير واصل والثانية
بدل من الف فاعل وقرئ وليا يرثني آل يعقوب بطريق التجريد لان الوارث المتوهم هو نفس
الولي الذي استوجبه والتجريد ان ينزع من امر ذي صفة امرا اخر مثل فيها ايذانا بكمالها
فيه كما في قولك رأيت من فلان اسدا ولقيني منه اسد فعلى هذه القراءة ان تعذر الباء
التجريدية او من التجريدية لتتضح معنى التجريد بكلمة في كما في قوله تعالى في صفة الجنة لهم فيها دار الخلد
والجنة في نفسها هي دار الخلد فجرد منها دارا اخرى ايذانا بكمالها في كونها دار الخلد واعلم ان زكريا
عليه السلام قدم على سؤال الولد ثلاثة امور وتوسل بها الى السؤال اولها اظهارها بان سوى استيلاء
الضعف عليه وعلى امرأته فانه حار بالدعاء ما يكره المخافة من التبري من الاسباب الظاهرة
والاعتماد على فضل الله تعالى ورحمته وثانيها بيان ان الله تعالى عوده بالاجابة ولم يرد دعاءه
قط وهو ايضا يؤكد داعية الدعاء فان الكريم اذا عود احدا بالاحسان لا يقطعه
بالاخرة لا سيما في كونه احوج اليه وثالثها كون المطلوب منتفعا به في امر الدين وهو حوله
والى جنب الموالي وفرغ سؤال الولد على هذه الامور الثلاثة فلما توسل الى فضل ربه
ورحمته بتوالي كرمه ورحمته اجاب دعاءه فقال مرحبا بمن توسل الينا بتتابع جودنا
وكرمنا اليه ووعده باجابة دعائه بقوله تعالى يا زكريا الظاهر انه نداء من الله تعالى
له وقيل هو نداء الملائكة لقوله تعالى في سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم
يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى والجواب ان المراد نداء الملائكة انما هو تبليغ
نداء الله تعالى اليه والنداء حقيقة انما حصل من جهته تعالى قوله وهو شاهد لمعنى ان يحيى
يحيى بانه لم يكن له سمي قبل شاهد بان التسمية بالاسامي النزيهة المنادية بتنويه
اي رفع وتعظيم لقدر المسمى يقال ناه الشيء ينوه اي ارتفع ونوهته تنويها اي رفعته
ونوهته باسمه اذا رفعت ذكره قوله وقيل سميا شبيها فان يحيى عليه السلام خص بصفات لم تشاركه
احد فيها منها ان كل احد انما يسميه قومه بعد ولادته واما يحيى فالله تعالى سماه قبل
دخوله الوجود ولم يكن يشبهه في هذه الصفة ومنها انه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر

Copyright @ King Saud University